الكتاب الثامن

الكتاب الكونى (أو المعجزة الخالدة)

تأليف: أ. د. محمد جمال الدين الفندى   عرض: محمد كارم السيد غنيم

يعد الأستاذ الدكتور/ محمد جمال الدين الفندى ـ رحمه الله ـ رائدًا من رواد بيان الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم فى العصر الحديث، على مستوى العالم أجمع، وله إنتاج كبير فى هذا المجال، والكتاب الحالى يمثل الجزء الثانى من «الكتاب الكونى ـ أو المعجزة الخالدة»، وقد صدر ضمن سلسلة «دراسات إسلامية» بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، فى طبعته الأولى فى عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م). ويقع الكتاب فى (١٦٣) صفحة فى القطع المتوسط، وينتظم تقديمًا للمؤلف، وعددًا من الموضوعات فاقت الخمسة عشر موضوعًا، وانتهى بفهرس للمحتويات، ويستهل المؤلف المقدمة (التقديم) بإبراز حقيقة تاريخية عن الحضارة الإسلامية، التى لم تكن مجرد قنطرة عبرت بها نتائج الحضارات القديمة إلى أوروبا العصر الحديث حيث النهضة الجديدة، بل استوعب المسلمون الحضارات القديمة، وهضموها، وأضافوا إليها الشىء الكثير، وأنجزوا كل ذلك داخل إطار الفكر الإسلامى، وكانت رسائلهم ومخطوطاتهم تربط بين حقائق العلم وتعاليم الدين، إيمانًا منهم بأن العلم رسالة الإسلام.. ثم عرف المؤلف العلم الطبيعى، وبين حدوده، وشرح العلاقة بين الثورة العلمية الحديثة فى العالم وبين الدين، وتوجه نحو المسلمين وأوضح واجبهم نحو الآيات الكونية الواردة فى القرآن الكريم، ودعا إلى إنشاء دراسة حديثة فى الدعوة الإسلامية قائمة على أساس إظهار الإعجاز العلمى للقرآن، واعتبر هذه الخاصية القرآنية الحجة القوية للمسلمين وسبيلهم القويم لإقناع أهل الغرب (والشرق) بالإسلام وسلامة مبادئه.

وبعد أن حدد الأمية فى العصر الحديث بأنها الجهل بالعلوم، حدد المجالات التى يمكن للعلوم الطبيعية أن تخدم فيها الإسلام، وعاد مرة أخرى إلى الإنجازات العلمية للحضارة الإسلامية وكيف كانت أساسًا قويًا من أسس نهضة الغرب الحديثة، وختم بتوجيه اللوم لبعض علماء الدين الإسلامى الذين يحجرون على قيام العلوم الحديثة بخدمة نفسير القرآن، أو بمعنى آخر، الاستفادة من كشوف ومعطيات العلوم الحديثة فى تطوير تفسير القرآن، أو تجديد مفاهيم الآيات وتوسيع مرامى الكلمات.

الموضوع الأول هو «الكون ـ أو الوجود المادى»، والكون هل كل ما فى الوجود من مادة وطاقة تنتشر عبر الفضاء (أو السماوات)، وقوامها المجرات (أو الجزر الكونية) التى لا حصر لها. متى ظهر الكون؟ من خلق الكون؟ ما حجم الكون؟ حاول المؤلف أن يجيب إجابات مختصرة عن هذه الأسئلة، وانتهى إلى تقرير إخفاق الإنسان فى معرفة أشياء كثيرة من حوله، برغم كل ما توصل إليه من علوم ومعارف وكشوف... ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ١ ـ ٤). وكانت (المجموعة الشمسية) هى الموضوع الثانى الذى بدأ بنبذة عن حجم الفضاء الذى تشغله هذه المجموعة، وعدد أفرادها (وهى تسعة ـ قديمًا ـ وقد تم التعرف على العاشر حديثًا، ويتوقع العلماء اكتشاف الحادى عشر، طبقًا لحساباتهم)، وهكذا يتحقق التفسير العلمى لقول الله ـ تعالى ـ على لسان يوسف: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ١ ـ ٤). وانتقل المؤلف إلى الجن وعجزهم عن الصعود فى طبقات السماوات لاستراق السمع (التقاط الأخبار) بسبب انتشار الشهب والنيازك التى تحرقهم، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ (الجن: ٨ ـ ٩).

ومن المجموعة الشمسية اختار المؤلف (كوكب الأرض) ليكون موضوعًا لحديثه فى الجزئية الحالية، وبالرغم من هذا وجدنا المؤلف لم يتحدث عن الأرض، وإنما تحدث عن مزايا القرآن فى تناوله للمسائل الطبيعية، وهى:

١ ـ الأخذ بالطريقة العلمية القائمة على الرصد والتتبع والقياس: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (يونس: ١٠١)، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ (العنكبوت: ٢٠). وهذا ما توصل إليه العلماء حديثًا وهو أن «تاريخ الأرض مكتوب بين طيات قشرتها»، وهو مكتوب بلغة تختلف عن لغات البشر، إنها لغة «الحفريات».

(٢) نبذ الخرافات المعاصرة وعدم الأخذ بها، مثل: التنين الطائر كائن حى، السراب من عمل الشيطان، بالسحر يتحول الناس إلى دواب، وفى القرآن آيات عديدة تبطل هذه الخرافات.

(٣) استبعاد عنصر «الصدفة» فيما خلق الله فى الكون.

(٤) الإشارة إلى حقائق كونية، مثل: كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس، وبدون إثارة لفضول غير العارفين بها. وكروية الأرض، مثلاً، يمكن استنباطها من الآيات: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ (الزمر: ٥)، ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات: ٣٠)، ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً﴾ (يونس: ٢٤)... إلخ.

مطلع الشمس ومغربها فى كتاب الله، مسألة متعلقة بالشمس، وتناولها المؤلف فى صفحتين اثنتين فقط، والآيتان اللتان تذكرانهما هما: (الكهف: ٨٦، الكهف: ٩٠)، وهذا فى معرض قصة ذى القرنين. ويرجح المؤلف أن يكون مطلع الشمس ومغربها هنا يشيران إلى الدائرة القطبية، وأن ذا القرنين وصل إليها، والدائرة القطبية هى المكان الذى تطلع عليه الشمس ستة أشهر متوالية (فصل الصيف)، وتغيب عنه ستة أشهر متوالية (فصل الشتاء). كما أن بها نافورات دائمة من ماء ساخن يكتسب الطين من حولها لونًا أسود (عين حمئة)، وعندما تطلع الشمس فى الدائرة القطبية تدور على

مدار اليوم حول الأفق من غير أن تختفى: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً﴾. هذا، ولسوف يعود المؤلف إلى حديثه حول الشمس بعد ٥٩ صفحة من الآن!! وهى الصفحات التى شغلها بالحديث عن الأرض وما تحتويه أغلفتها المختلفة.

يوجد «ماء الأرض» فى ثلاث صور هى:

١ ـ الصورة الغازية، ممثلة فى بخار الماء الذى يحمله الهواء.

٢ ـ الصورة السائلة، أو الماء السائل الذى يملأ بطون المحيطات والبحار وغيرهما.

٣ ـ الصورة الصلبة، وتمثلها ثلوج القطبين وأعالى الجبال المرتفعة، وأدعم خواصه الكيميائية هى الذوبانية، والماء يغطى أربعة أخماس الكرة الأرضية، والمطر هو المصدر الأساسى للماء العذب، والمزن هو السحاب الممطر، وشيوع الماء فى أجسام الكائنات الحية، وإسكان الماء فى الأرض قديمًا، كل هذه نقاط تناولها المؤلف تناولاً سريعًا، مع الاستشهاد بآيات قرآنية عليها.

ومن الغلاف المائى، انتقل صاحب الكتاب إلى الغلاف الهوائى للأرض، وأسماه «سقف الأرض»، وذلك فى ضوء الآيتين: (الأنبياء: ٣٢، الطور: ٥)، والسماء فى الآية الأولى اسم لكل ما علانا وارتفع فوق رءوسنا، ويبدأ بالغلاف الجوى الذى يرتفع إلى ألف كيلومتر فوق سطح الأرض، وتمسكه الأرض بجاذبيتها حتى لا يهرب ويندفع فى الفضاء الكونى، وهذا ما أشارت إليه الآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ (الرعد: ٢). وبعد أن كرر المؤلف كلامًا حول استبعاد القرآن لعنصر «الصدفة» فى خلق الكون، فصل القول فى خدمات (السقف) أو الغلاف الجوى لأصل الأرض، وقد عرفت فى عصر العلم فقط، وقد تعرض لغازاته، ولانخفاض ضغطه بالارتفاع، وعلق على الآية (١٢٥) من سورة الأنعام، وشرح القبة الزرقاء التى نراها فوق رءوسنا، وكذلك الظلام الحالك الذى ينتشر فى أرجاء الفضاء الكونى خارج الأرض، وعلق على الآية (١٥) من سورة الحج، وكرر الإشارة إلى انخفاض الضغط بالارتفاع فى طبقات الجو، وكيفية حدوث الليل والنهار.

وانقطع حبل الحديث فى الأرض، وأغلفتها ومحتوياتها بجزئية عن «الصدفة» وعدم وجود مكان لها فى الخلق، واحتوت هذه الجزئية مسائل مثل: التوازن (أو

الاتزان) فى الكون، والدقة فى تقدير كل شىء فيه (الفرقان: ٢، فاطر: ٤٣)، وقد أورد المؤلف أمثلة لذلك: عجائب مركب الماء، وخاصية طفو صورته الصلبة (الثلوج) فوق صورته السائلة، وعدم غوصها، مثلما يحدث مع السوائل الأخرى، وحكمة الله فى جعل هذه الخاصية للماء. وتعرض المؤلف أيضًا لادعاء المكابرين بأن ما فى الكون من مادة وإشعاع فيه إسراف، وفند هذا الادعاء ودحضه، ثم عاد إلى استئناف حديثه عن محتويات الغلاف الهوائى للأرض، حيث توجد السحب والأمطار، الجزئية الرابعة الأساسية فى «السحاب والمطر وعواصف الرعد»، وفى كيفية تكوين السحاب، قال المؤلف: الهواء عندما يصعد إلى أعلى على هيئة رياح تنخفض درجة حرارته تلقائيًا وتقل قدرته على حمل بخار الماء العالق فيه، حتى إذا وصل إلى ارتفاع غير بعيد عن سطح الأرض يتحول قدر كبير من البخار الذى يحمله إلى مجموعات من نقط الماء أو من بلّورات الثلج أو منهما معًا، تبعًا لدرجة الحرارة السائدة، وتلك المجاميع هى السحاب. والحق أن أول كتاب على الإطلاق قرر أن الرياح (الصاعدة بطبيعة الحال) هى التى تثير السحاب هو القرآن الكريم، حين قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ (فاطر: ٩). وبعده شرح بإيجاز الأنواع الرئيسة للسحب، وهى: السحاب الطبقى (البساطى)، (الروم: ٤٨، الواقعة: ٦٨ـ ٦٩)، السحاب الركامى الذى ينمو رأسيًا، وتتراكم طبقاته بعضها فوق بعض حتى يصير كالجبال (النور: ٤٣)... ومن المعروف حديثًا أن المزن (فى التعبير القرآنى) هو السحاب الممطر.

والمسألة الثانية فى هذه الجزئية هى «المطر ودورة المياه العذبة»: هناك فرق كبير بين السحابة التى تمطر والسحابة التى لا تمطر، فالسحابة التى تثيرها الرياح لا تمطر إلا إذا دأبت الرياح (التى أثارتها) واستمرت على تغذيتها بما يعرف علميًا باسم «نوى التكاثف» وكذلك بخار الماء اللازم للإمطار.. وجاءت عواصف الرعد كمسألة ثالثة فى الجزئية الحالية، وتحدث المؤلف فى بدايتها عن «البَرَد»، وكذلك «البرق» الذي لا يحدث إلا فى المزن الركامى.. أما جلجلة الرعد وهديره الذى يلى ذلك فإنه ينتج عن انكسار الدوى الأول من قواعد السحب أو المرتفعات عامة (الصدى). أما إذا حدث التفريغ الكهربائى بين أسفل السحابة الركامية المشحونة بالكهرباء وسطح الأرض، خصوصًا ما عليه من مرتفعات، مثل المنازل والشجر والأبراج، حدثت الصواعق، منقضة على المرتفعات؛ لأنها أقرب الأشياء إلى السحابة..

وعاد المؤلف إلى «البَرَد» ليبين أهميته، وذكر الآية (٤٣) من سورة النور التى رأى أنها تربط بين تكون البَرَد وحدوث البرق، ثم تأثير البرق فى العين . .

وامتداداً للحديث عن الأرض ومحتوياتها، تناول المؤلف الجبال، إذ يرتفع سطح الأرض تارة فتكون الجبال، وينخفض تارة فتكون قيعان البحار والمحيطات، وفى الجبال كهوف ومغارات نحتتها عوامل التعرية (كالرياح والمياه الجارية).

وقديمًا لجأ الإنسان إلى الجبال واتخذها مأوى له قبل أن يتعلم فن البناء، ثم راح ينحتها بنفسه ليحتمى بها من غوائل الطبيعة ومن أخطار الحيوانات المفترسة، وليعيش بداخلها آمنًا مطمئنًا: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ (النحل: ٨١)، ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٢). . . وفى حديثه عن الجبال من الناحية الجيولوجية أوضح المؤلف أن الجبال ـ عمومًا ـ جزء من قشرة الأرض الصلبة التى تعيش عليها، ولها جذور عميقة فى هذه القشرة، تحول دون انزلاق الطبقات المختلفة للقشرة فوق بعضها البعض، وهى بذلك أشبه شىء بالأوتاد التى تشد بها الخيام لكى تتزن وتثبت على الأرض: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: ٦ ـ ٧)، ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (النحل: ١٥). سطح الأرض فى تغير مستمر، آثار اختلال توازن القشرة الأرضية، ابن الشاطر قال بمركزية الشمس للمجموعة الشمسية قبل كوبرنيكوس، ملاءمة بيئة المرتفعات للزراعة والسكنى. . وبعد تناول هذه النقاط أشار المؤلف إلى أن الجبال ذكرت فى (٣٨) آية قرآنية، بالإضافة إلى تسع آيات ذكرت فيها الرواسى. ويدل هذان الرقمان على المدى الواسع الذى به استمد القرآن الكريم كثيراً من آياته وحكمه وأمثاله من الكون، كتاب الله المنظور . .

وقبل أن يعود المؤلف إلى (الشمس)، مر بالطاقة، وفى ضوء قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٦)، تحدث عن الطاقة علميّا، والطاقة فى أعم صورها (وهى الحرارة والضوء)، وأنها لا تخلق من عدم، كما أنها لا تفنى. وأوضح أن الطاقة الحرارية هى أردأ صور الطاقة لسهولة فقدانها أو تسربها، تلقائيّا. وأعطى نبذة عن الإشعاع، وعن الفكرة القديمة حول الحرارة، والكشف الحديث (ظهور

الحرارة عما يسمى الطاقة الداخلية للأجسام)، وهى طاقة حركة جزيئات المادة. . . وطبيعة الوقود، وأنواعه وإشارة إلى الطاقة الكهربائية. وقد أورد المؤلف آيتين، أولاهما ذكرناها، والثانية هى الآية (٢٥) من سورة النور، وكلتاهما لم نر المؤلف قد خدمهما خدمة علمية سليمة!!

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ (الأعراف: ٥٤). . الشمس أروع آيات الخالق فى السماء، وأعظمها نفعًا لأهل الأرض، فقد سخرها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لتكون أكبر مصدر لكثير من الطاقات على الأرض، فهى التى كونت الفحم الحجرى والبترول، وهى مصدر الدفء والنور وضوء النهار على الأرض. وحول الشمس جال المؤلف وصال من حيث اهتمام الإنسان بالشمس قديمًا، والشمس متحركة، وكيف يظهر ضوء النهار، وشروط ظهور ضوء الشمس المتوفرة فى الغلاف الجوى الأرضى، وكيف تتعدد مشارق الأرض ومغاربها، وتكرار الكلام فى الدائرة القطبية وذى القرنين، وأقدار الشمس (الحجم والكتلة والقطر. . .)، وانسلاخ النهار من الليل، وطاقة الشمس التى تصل إلى الأرض، وأشكال الطاقة التى هى رزق من الله إلى سكان الأرض، وعملية البناء الضوئى (التمثيل الكلوروفيلى ـ كما سماها المؤلف خطأ)، والشمس فى أحداث الآخرة، وماعرضته الآيات القرآنية فى هذا. . . ولم يكتف المؤلف بأنه تناول الشمس فى بدايات الكتاب، ثم عاد فتناولها فى الجزئية المبتدئة بصفحة (٨١)، بل سيتكلم عنها مرة ثالثة فى الكتاب، وسنعرف هذا عندما نصل إلى صفحة (١٣١)!!

(القمر) هو أقرب أجرام السماء إلى الأرض، ويبلغ متوسط بُعْده عنها ٣٨٤,٥ ألف كيلومتر، فقط، ويمدنا بنوره الفضى الجميل فى عدد من الليالى كل شهر، ولا تقتصر فائدته للأرض وأهلها على ذلك، فهو يكوّن مع الأرض ما يسمى «النظام المقفل» الذى يعمل فيه القمر على تثبيت سرعة دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، بحيث إنه إذا زادت سرعة دوران الأرض حول محورها يقترب القمر منها فتزداد فاعلية الجاذبية المتبادلة بينهما وتبطئ الأرض فى دورانها، ويطول اليوم فيصير ٢٤ ساعة مرة أخرى، والعكس صحيح. بعد هذا المدخل، نطالع تقريبًا علميًا لمسألة انشقاق (وجه) القمر، فى ضوء الآية القرآنية: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾

(القمر : ١)، ويرفض المؤلف فكرة انشقاق القمر قديمًا. أما منازل القمر فهى أوجهه، وهى المراحل المختلفة التى يمر بها وجه القمر المضىء (ويقصد المؤلف أن يصفه بالمنير) كما نراه على الأرض من ليلة مولد الهلال أو الشهر إلى المحاق (أو الإظلام التام) فى آخر الشهر... ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ [يس : ٣٩]. ومن النقاط التى عرضت فى الموضوع: كيفية رصد ميلاد الهلال وتحديد أوائل الشهور القمرية، سبب الاختلاف فى مطالع الشهور الهجرية، وكيف يمكن تجنبه، ما هى الرؤية الشرعية لهلال الشهر، كيف يختلف هلال أول الشهر عن هلال آخر الشهر، ما هى مميزات التقويم القمرى (الهجرى)، ومتى بدأ، ومن الذى أمر به، وهل هجرته ﷺ كانت فى شهر محرم أم فى شهر ربيع الأول، وما الذى يعتمد عليه مجمع البحوث الإسلامية (بمصر) فى تحديد بدايات الشهور الهجرية؟.

هناك معادلة (قرآنية) للتحويل من التقويم القمرى إلى التقويم الشمسى، والعكس، وذلك بالرجوع إلى الآية القرآنية: ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾ (الكهف : ٢٥)، وهذه صورة من صور الإعجاز الحسابى للقرآن الكريم، فإذا كان عدد أيام السنة الشمسية هو ٣٦٥,٢٤٢٢ يومًا، ومتوسط طول الشهر القمرى هو ٢٩,٥٥٠٣٢٩ يومًا من أيام الأرض، فإن (٣٠٠) سنة شمسية (١٠٩٥٧٢,٦٦ ÷ ١٢ × ٢٩,٥٥٠٣٢٩) = ٣٠٩ سنة قمرية.. وامتدادًا للتقاويم ـ نمر بتفصيل فى التقويم الشمسى، وقد شرح المؤلف أسباب الخلاف بين التقويمين القبطى والميلادى (الجريجورى)، وقد يكون من نافلة القول أربع صفحات أوردها المؤلف فى (الزمن) ـ ما دام قد تحدث سابقًا فى التقاويم، وقد بدأ كلامه ببحث متى بدأ الزمن، والوحدات الأرضية لقياس الزمن، وإحساس الإنسان بالزمن (المؤمنون: ١١٢، ١١٣). وتوالت الأفكار حول حركة الإنسان بسرعة الضوء، وماذا لو تحرك بسرعة أكبر من هذه السرعة، والفرق بين الفراغ والفضاء، وأيام خلق الكون ليست كالأيام الأرضية المعروفة لدينا.

وأما موضوع الفضاء (الفضاء الكونى وأسفاره) فكان يجب أن يتأخر إلى ما قبل الجزئية «هل نحن وحدنا فى الكون؟». وفى كلامه عن الفضاء الكونى شرح صاحب الكتاب خط سير الأجسام فى الفضاء، وأنه منحن وغير مستقيم، والانحناء يعنى

العروج (الحجر: ١٤، المعارج: ٤)، وبعد أن أعطى نبذة عن إمكانية تخزين الطاقة الشمسية، اشتملت الجزئية أسفار الفضاء وكيف تكون وسيلة تنقل فيما بين أجرام المجموعة الشمسية، ونصل إلى الجزئية الرئيسة الحادية عشرة لنجدها «الرياح»، وهو ما يجب أن يسبق الكلام فى السحب والأمطار، وهذا هو التوالى، أو الترتيب، المنطقى للموضوعات، خصوصًا إذا كان أحدها يفضى إلى الآخر. ويقسم القرآن الكريم الرياح تبعًا للشدة أو للسرعة، مثل: الريح الساكنة (الشورى: ٣٣)، الريح الطيبة (يونس: ٢٢)، والريح العاصف (يونس: ٢٢)، والريح الحاصب (الإسراء: ٦٨)، والريح القاصف (الإسراء: ٦٩)، والريح الصرصر (الحاقة: ٦)، والإعصار (البقرة: ٢٦٦).

وفى الجزئية الخاصة بالشهب والنيازك والمذنبات، كرر المؤلف كلامًا سبق أن عرضه فى «سورة النور» (النور: ٢٥)، ثم عرض لدفع القرآن إلى الأخذ بالأسباب ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا**﴾ (الكهف: ٨٤ ـ ٨٥).

والشهب نراها ليلاً على هيئة ومضات من الضوء تمتد فى خطوط طويلة عبر السماء فى أعالى جو الأرض، وقد تسمى أحيانًا «النجوم الهاوية». ويدخل جو الأرض (٢٠) مليون شهاب يوميًا، لا يرى الإنسان أكثرها، وتهبط أتربة الشهب بعد احتراقها متساقطة على سطح الأرض. وأما النيازك، فهى شهب كبيرة سقطت على سطح الأرض ولم تحترق خلاله، فسقطت كالحجارة، وهى ظاهرة ليست كثيرة الحدوث. . ثم عرف المؤلف المذنبات بأنها أجرام سماوية من بين أفراد المجموعة الشمسية، وتختبئ (تخنس) أحيانًا، وتظهر بين الحين والآخر لأهل الأرض. وذكر المؤلف أنه يفهم قول الله تعالى: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ**﴾ (التكوير: ١٥ ـ ١٦) بالمذنبات، وتكلم عن مذنب هالى الذى ظهر أيام المعتصم، وحكاية المنجمين بشأنه.

ويعود المؤلف للمرة الثالثة إلى (الشمس) فى مواقع وأنحاء متفرقة من الكتاب، وهو يتحدث فى هذه المرة فى إحدى ظواهر الشمس، وهى ظاهرة الكسوف، وقصة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام فى رصد هذه الظاهرة. وبعد أن نقرأ عن مناظر الكسوف الكلى، نقرأ الآيات ٧٤ ـ ٧٩ من سورة الأنعام، وهى تحكى أحداث رصد الكسوف

التى قام بها إبراهيم، وكان يعيش فى «أور» ببابل (العراق) وكان قومه يعبدون أجرام السماء، وقد مثلوا بعضها بأصنام كانوا يعبدونها، كما أنهم تصوروا وجود حيوانات وأنعام فى السماء، وقسموا مسار الشمس الظاهرى على مدار العام إلى اثنى عشر قسمًا أطلقوا على أغلبها أسماء أنعام: كالجدى والثور والحمل، ولعل هذا هو سر وجود قصة إبراهيم فى سورة الأنعام.

هل نحن وحدنا فى الكون؟ سؤال جعله المؤلف عنوانًا للجزئية قبل الأخيرة، وأكثر فيه المؤلف من ذكر الآيات القرآنية، وينقل أن فريقًا من الناس يرون وجود حضارات أقدم من الحضارة البشرية فى أرجاء الكون، وأن فريقًا من أهلها يقبل إلينا فى «الأطباق الطائرة»، خصوصًا من الكواكب التى تتبع شموسًا قرب مركز المجرة (الطريق اللبنى الذى يمتد عبر ١٠٠ ألف سنة ضوئية)، فإنه بالقرب من مركز المجرة عادة تتواجد أغلب مادة السديم، ويكتمل ظهور الكواكب قبل الأطراف. واستكمالاً لنفس هذا الحديث، تأتى الجزئية الثالثة وتختص بالأطباق الطائرة، وبعض الروايات عن مشاهدة أجسام طائرة فى أنحاء من الكرة الأرضية، ويتوصل المؤلف إلى استحالة وصول كائنات حية عاقلة ومتحضرة من السماء؛ لأن سرعة الضوء التى تحسب بها السنين الضوئية لا سبيل إلى الوصول إليها عمليًا، فهى أكبر سرعة فى الكون على الإطلاق.. ثم يرجع عن رأيه فى نفس الصفحة (١٥٤)، ويقول: ولكن فى الواقع يمضى العلم فيقول حيثما يوجد كوكب شبيه بالأرض من حيث ظروفه الطبيعية لا مناص من أن توجد عليه حياة تتطور بمرور الزمن، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾
(الشورى: ٢٩).

وأما آخر جزئية فى الكتاب، فكانت فى «العدد والحساب فى القرآن الكريم»، ويبدأ المؤلف بقوله: ... والقرآن الكريم أول كتاب استخدم فى كثير من آياته العدد والحساب، وقد استخدم فى سبيل ذلك الحساب العشرى، ونبذ غيره من وسائل الحساب، مثل الحساب الستينى الذى كان استخدامه شائعًا ـ ولا يزال إلى الآن ـ فى قياس الزمن. وعرض المؤلف الأعداد الصحيحة التى ورد ذكرها فى القرآن، وكذلك الكسور، ثم شرح الحساب العشرى، والأرقام العربية والأرقام الهندية،

واللوغاريتمات، والنسبة المئوية فى القرآن (ص: ٢٣) وبعض الآيات التى تناولت العشرات، والآيات التى تضمنت مضاعفات العشرة، واليوم عند الله فى القرآن قد يساوى ٤, ١٧٧٣٠٩١٧ يومًا من أيام الأرض. .

وختامًا، رحم الله المؤلف وعفا عنه، فربما لشيخوخته ومرضه لم يستطع أن يعيد النظر فى ترتيب جزئيات الكتاب قبل طباعته، وأن يبوبه أبوابًا وفصولاً، وأن يضم كلامه فى الموضوع الواحد إلى بعضه البعض ولا يتركه هكذا متناثرًا فى أنحاء متفرقة. وهو ما يتطلبه الكتاب الحالى!!

* * *